دك الصواعق النارية على رؤوس من قرر عقائدالمعتزلة والأشاعرةالكلابية

(النسخة المنقحة الثانية)

تأليف
خالد بن عبدالله العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومـذل الشـرك بقهـره، ومصـرف الأمور بأمره، ومسـتدرج العاصـين بمكـره، الـذي أظهر دينه على الدين كله، القـاهر فـوق عبـاده فلا يمـانع، الظـاهر على خلقه فلا ينازع، الحكيم فيما يريد فلا يدافع.

أحمده على إعزازه لأوليائـه، ونصـرته لأنصـاره، وخفضه لأعدائـه، حمد من استشعر الحمد باطن سره، وظاهر جهره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولـد، ولم يكن له كفـوا أحـد، شـهادة من طهر بالتوحيد قلبـــــه، وأرضى بالمعـــــاداة فيه والمـــــوالاة ربـــــه.

وأشهد أن محمـدا عبـده ورسـوله، رافع الشك وخـافض الشـرك، وقامع الكـذب والإفـك؛ اللهم صل على محمد وعلى آله الأطهـار، وصحبه الأبرار، وتابعيهم الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد : فقد وقفت على كلام متضـمن لأنـواع من الكـذب والمـرج جامع لأمور من الباطل، لا يسع مسلم السـكوت عنـه، خشـية أن يفتن به بعض الجـاهلين، فيعتمد عليـه؛ فـإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.

وقد جعل الله في كل زمان فترة، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بدين الله أهل العمى، ويحيـون بكتـاب الله المـــوتى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيـــوه وتائه ضـــال قد هدوه؛ فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

فقد عنَّ لي الجــواب على ما نسب للإمــام الــدارمي رحمه الله تعالى في كتابه النقض وهذا نصه :" قيل له : لا نســلم أن مطلق المفعـــولات مخلوقـــة. وقد أجمعنا على أن الحركة والـــنزول والمشي والهرولة والاسـتواء على العـرش، وإلى السـماء قـديم، والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الـذات للذات، وهي قديمـة، فكل ما خـرج من قـولِ : "كُنْ" فهو حـادث. وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم. والله أعلم."

ولي على هذا الكلام المنسوب للإمام الـدارمي – رحمه الله تعالى - وقفات، ولوازم :

__**الأولى :**__ إن من قال بأن الصفات الفعلية لله عز وجل كـالنزول والمجيء والاســتواء والضــحك وســائر ذلك، **صــفات قديمة أزلية[1] وهي في الذات للذات لا تتعلق بمشيئته وقدرته،** فقد قال بقول الكلابية والأشـعرية ومن وافقهم، فقد قـال الإمـام عثمـــان بن ســـعيد الـــدارمي – رحمه الله تعـــالى - في النقض 2/863 : "ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله تعالى التي هي مذكورة في كتـاب الله، ونـازع في الآيـات الـتي ذكـرت فيها ليغالط النــاس في تفســيرها؛ فــذكر منها : الحب والبغض، والغضب، والرضى والفرح، والكره، والعجب، والسخط، والإرادة، والمشيئة، ليـدخل عليها من الأغلوطـات ما أدخل على غيرها مما حكيناه عنه غير أنه قد أمسك عن الكلام فيها بعـدما خلطها بتلك، فحين أمسك المعارض عن الكلام فيها أمسـكنا عن جوابه، وروينا ما روى فيها عن رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم مما لا يحتمل أغلوطاته، فــإلى الله نشــكو قوما هــذا رأيهم في خالقنا ومذهبهم في إلهنا.

مع أنه عز وجهه وجل ذكـــره قد حققها في محكم كتابه، قبل أن ينفيها عنه المبطلون، وكذبهم في دعواهم قبل أن يدعوه وعـابهم به قبل أن يحكــوه. ثم رســوله المجتــبى وصــفيه المصــطفى فاســتغنينا فيه بما ذكر الله في كتابه منها وسـطر، وسن رسـوله المصطفى وأخبر، وردد من ذكرها وكـرر؛ فمن يكـترث لضـلالتهم بعد قــول الله تعــالى : {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِهِ صَـفّاً**}[2]، أم قوله : {**إِنَّ اللّـَهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** }[3]، {**فَسَـــوْفَ يَـــأْتِي اللّـــهُ بِقَـــوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ**}[4] فجمع بين الحــبين : حب الخــالق وحب المخلــوق، متقارنين.

---

[1] وقد نقل شيخ الإسلام في الفتاوى 12/86 عن أئمة أهل السنة والجماعة ومنهم الإمام أحمد، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي صاحب النقض والاثـرم والمـروذى وأبى زرعة وأبى حـاتم وغـيرهم من الأئمة رحمهم الله تعـالى إنكـارهم على من قـال أن صـفات الله عز وجل قديمة أزلية.

[2] سورة الصف، آية 4.

[3] سورة البقرة، آية 222.

[4] سورة المائدة، آية 54.

ثم فرق بين ما يحب وما لا يحب، ليعلم خلقه أنهما متضادان غير متفقين، فقال : {**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ**}[5]، و{**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}[6]، وقال تعالى : {**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ**}[7]. ثم فرق بين سخطه وإسخاط العباد إياه، فقال : {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ**}[8]، وقال : {**وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ**}. ثم ذكر إغضاب الخلق إياه، فقال تعالى : {**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ** }[9] يقول أغضبونا، فذكر أنه يَغضَب ويُغضَب. وقال تعالى : {**رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**}[10]، {**وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ**}[11] فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير، وتعرفه العامة والخاصة، غير هؤلاء الملحدين في آيات الله الذين غالطوا فيها الضعفاء، فقالوا : نقر بها كلها؛ لأنها مذكورة في القرآن لا يمكن دفعها، غير أنا لا نقول : يحب ويرضى ويغضب ويسخط ويكره في نفسه، ولا هذه الصفات من ذاته على اختلاف معانيها، ولكن تفسير حبه ورضاه بزعمهم ما يصيب الناس من العافية والسلامة والخصب والدعة، وغضبه وسخطه بزعمهم ما يقعون فيه من البلاء والهلكة والضيق والشدة؛ فإنما آية غضبه ورضاه وسخطه عندهم ما يتقلب فيه الناس من هذه الحالات وما أشبهها، لا أن الله يحب ويبغض ويرضى ويسخط حالاً بعد حال في نفسه.

فيقال لهؤلاء الملحدين في آيات الله تعالى المكذبين بصفات الله : ما رأينا دعوى أبطل ولا أبعد من صحيح لغات العرب والعجم من دعواكم هذه، ففي دعواكم : إذا كان أولياء الله المؤمنون من رسله وأنبيائه وسائر أوليائه في ضيق وشدة وعوز من المأكل والمشرب، وفي خوف وبلاء، كانوا في دعواكم في سخط من الله وغضب وعقاب. وإذا كان الكافر في خصب ودعة وأمن وعافية، واتسعت عليه دنياه من مأكل الحرام وشرب الخمور كانوا في رضى من الله وفي محبة ما رأينا تأويلاً أبعد من الحق من تأويلكم هذا! [12]".

---

[5] سورة النساء، آية 148.
[6] سورة الأنعام، آية 141.
[7] سورة المائدة، آية 80.
[8] سورة محمد، آية 28.
[9] سورة الزخرف، آية 55.
[10] سورة المائدة ، آية 119.
[11] سورة التوبة ، آية 46.
[12] وهذا الكلام ينقض كلام علماء المعارض الذي نسب للإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى واسكنه فسيح جناته في الفتاوى 5/410 : "فزعموا أن قوله سبحانه ليس تنزيها له عن اتخاذ الولد - بناء على أصلهم الفاسد وهو أن الرب لا ينزه عن فعل من الأفعال - بل يجوز عليه كل ما يقدر عليه.

وكذلك جعلوا قول الأوزاعي وغيره **إن النزول ليس بفعل يشاؤه الله؛ لأنه عندهم من صفات الذات لا من صفات الفعل بناء على أصلهم وأن الأفعال الاختيارية لا تقوم بذات الله.**

فلو كان صفة فعل لزم أن لا يقوم بذاته؛ بل يكون منفصلا عنه.

وهؤلاء يقولون : النزول من صفات الذات ومع هذا فهو عندهم أزلي كما يقولون مثل ذلك في الاستواء والمجيء والإتيان والرضى والغضب والفرح والضحك وسائر ذلك، **إن هذا جميعه صفات ذاتية لله وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره؛ بناء على أصلهم الذي وافقوا فيه ابن كلاب وهو أن الرب لا يقوم بذاته ما يتعلق بمشيئته واختياره؛** بل من هؤلاء من يقول إنه : لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يقوم به فعل يحدث بمشيئته واختياره.

بل من هؤلاء من يقول : إن الفعل قديم أزلي وإنه مع ذلك يتعلق بمشيئته وقدرته وأكثر العقلاء يقولون : فساد هذا معلوم بضرورة العقل؛ كما قالوا مثل ذلك في قول من قال من المتفلسفة : إن الفلك قديم أزلي وإنه أبدعه بقدرته ومشيئته.

وجمهور العقلاء يقولون : الشيء المعين من الأعيان والصفات إذا كان حاصلا بمشيئة الرب وقدرته لم يكن أزليا.

فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه كالحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري والقضاة أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى بن الفراء[13] وأبي جعفر السماني وأبي

[13] هذا على مذهبه القديم لكنه تاب بعد ذلك ورجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وله كتاب في الرد على ابن فورك سماه (إبطال التأويلات) يقرر فيه عقيدة أهل السنة والجماعة.

الوليد الباجي، وغيرهم من الأعيان [14]، كأبي المعالي الجويني وأمثاله، وأبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وأمثالهما، أن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه **لا تحله الحوادث**، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان وأتباعه من الجهمية والمعتزلة صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب على أحد قولين : إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه.

فيقولون : كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه وغضبه وفرحه ومجيئه وإتيانه ونزوله وغير ذلك هو مخلوق منفصل عنه لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا : هذه الأمور من صفات الفعل؛ فمعناه أنها منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم : إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات، وإما أن يجعلوا جميع هذه لمعاني قديمة أزلية، ويقولون : نزوله ومجيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه، ونحو ذلك قديم أزلي كما يقولون : إن القرآن قديم أزلي".

وقال ايضاً في الفتاوى - فصل الاستثناء في الإيمان- 7/430 : "وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث من قولهم : أنا مؤمن إن شاء الله؛ ويريد مع ذلك أن الإيمان لا يتفاضل؛ ولا يشك الإنسان في الموجود منه، وإنما يشك في المستقبل وانضم إلى ذلك أنهم يقولون : **محبة الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم**.

ثم هل ذلك هو الإرادة أم صفات أخر ؟ لهم في ذلك قولان.

وأكثر قدمائهم يقولون : إن الرضى والسخط والغضب، ونحو ذلك صفات ليست هي الإرادة، كما أن السمع والبصر ليس هو العلم، وكذلك الولاية والعداوة.

---

[14] أراد رحمه الله بذلك رؤوس أهل البدع.

هــذه كلها صــفات قديمة أزلية عند أبي محمد عبد الله بن سـعيد بن كلاب، ومن اتبعه من المتكلمين، ومن أتبـاع المـذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم.

قـالوا : والله يحب في أزله من كـان كـافرا إذا علم أنه يمـوت مؤمنا.

فالصحابة ما زالوا محبوبين لله وإن كانوا قد عبدوا الأصـنام مـدة من الدهر، وإبليس ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد.

وهذا على أحد القولين لهم، فالرضى والسخط يرجع إلى الإرادة، والإرادة تطابق العلم.

فالمعنى : ما زال الله يريد أن يثيب هـؤلاء بعد إيمـانهم، ويعـاقب إبليس بعد كفره، وهذا معنى صـحيح، فـإن الله يريد أن يخلق كل ما علم أن سيخلقه.

وعلى قـول من يثبتها صـفات أخر يقـول : هو أيضا حبه تـابع لمن يريد أن يثيبه، فكل من أراد إثابته فهو يحبه، وكل من أراد عقوبته فإنه يبغضه وهذا تابع للعلم.

وهـؤلاء عنــدهم لا يرضى عن أحد بعد أن كـان سـاخطا عليه، ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه؛ بل ما زال يفرح بتوبته.

والفــرح عنــدهم إما الإرادة وإما الرضى، والمعــنى : ما زال يريد إثابته أو يرضى عما يريد إثابته .

وكــذلك لا يغضب عنــدهم يــوم القيامة دون ما قبله؛ **بل غضــبه قديم إما بمعنى الإرادة وإما بمعنى آخر".**

وقال ايضاً في الفتاوى 12/ـ 319 ـ : "وحـدثت طائفة أخـرى من الســالمية وغــيرهم - ممن هو من أهل الكلام والفقه والحــديث والتصــوف، ومنهم كثــير ممن هو ينتسب إلى مالك والشــافعي وأحمد بن حنبل، وكـثر هـذا في بعض المتـأخرين المنتسـبين إلى أحمد بن حنبل - فقالوا بقول المعتزلة، وبقــول الكلابية، **وافقوا هؤلاء في قولهم إنه قديم،** ووافقـوا أولئك في قـولهم : إنه حروف وأصوات، وأحدثوا قولا مبتدعا - كما أحدث غـيرهم

- فقـالوا : القـرآن قـديم وهو حـروف وأصـوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا.

واحتجوا على أنه قديم بحجج الكلابية، وعلى أنه حروف وأصـوات بحجج المعتزلة.

فلما قيل لهم : الحـــروف مســـبوقة بعضـــها ببعض فالبـــاء قبل السين، والسين قبل الميم، والقـديم لا يسـبق بغـيره والصـوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه قالوا : الكلام له وجود وماهية كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم.

قالوا : والكلام له ترتيب في وجـوده وتـرتيب ماهية البـاء للسـين بالزمــان هي في وجــوده وهي مقارنة لها في ماهيتها لم تتقــدم عليها بالزمان وإن كـانت متقدمة بالمرتبة كتقـدم بعض الحـروف المكتوبة على بعض .

فإن الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله ومع هـذا فـإذا كتبه كان أوله متقدما بالمرتبة على آخره.

فقال لهم جمهور العقلاء : هذا مما يعلم فساده بالاضـطرار؛ فـإن الصوت لا يتصـور بقـاؤه، ودعـوى وجـود ماهية غـير الموجـود في الخـارج دعـوى فاسـدة كما قد بسط في موضع آخر، والـترتيب الذي في المصحف هو ترتيب للحـروف المدادية والمـداد أجسـام فهو كترتيب الـدار والإنسـان وهـذا أمر يوجد الجـزء الأول منه مع الثاني، بخلاف الصوت فإنه لا يوجد الجزء الثـاني منه حـتى يعـدم الأول كالحركة فقيـاس هـذا بهـذا قيـاس باطل، ومن هـؤلاء من يطلق لفظ القــديم ولا يتصــور معنــاه، ومنهم من يقــول يعــني بالقديم إنه بـدأ من الله وإنه غـير مخلـوق وهـذا المعـنى صـحيح؛ لكن الـذين نـازعوا هل هو قـديم أو ليس بقـديم لم يعنـوا هـذا المعنى فمن قال لهم : إنه قديم وأراد هذا المعنى قد أراد معـنى صحيحا، لكنه جاهل بمقاصد الناس مضل لمن خاطبه بهـذا الكلام **مبتدع في الشرع واللغة**.

ثم كثــير من هــؤلاء يقولــون : إن الحــروف القديمة والأصــوات ليست هي الأصوات المسموعة من القـراء، ولا المـداد الـذي في المصحف، ومنهم من يقول : بل الأصوات المسموعة من القــراء

هو الصوت القديم، ومنهم من يقول بل يسمع من القارئ شـيئان : الصوت القديم وهو ما لا بد منه في وجود الكلام".

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله تعـالى - في شـرح الطحاوية ص 179 : "وقد افـترق النـاس في مسـألة الكلام على تسعة أقوال :

أحـدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفـوس من معـاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غـيره، وهـذا قـول الصـابئة والمتفلسفة.

وثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها : أنه معنى واحد قائم بذات اللـه، هو الأمر والنهي والخـبر والاسـتخبار، وإن عـبر عنه بالعربية كـان قرآنـا، وإن عـبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قـول ابن كلاب ومن وافقـه، كالأشـعري وغيره.

ورابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قـول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحـــديث وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا : إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفا بشيء من ذلك!! وعـارض هـؤلاء من الصـفاتية ابن كلاب ومن وافقـه، **فقـالوا : لا يوصف الله بشـيء يتعلق بمشـيئته وقدرته أصـلا، و جميع هـذه الأمـور صـفات لازمة لذاته قديمة أزلية**، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت.

كما قال في حديث الشفاعة : (إن ربي قد غضب اليـوم غضـبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك وسعديك والخـير في يـديك فيقـول : هل رضـيتم ؟ فيقولـون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك!

فيقـــول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولـــون : يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا[15]").

<u>الثانية :</u> إن هذا الكلام الذي نسب للإمـام الـدارمي - رحمه الله تعالى - ليس من كلامه، ويظهر ذلك من السياق، فقد قال الإمام الدارمي - رحمه الله تعالى - في النقض 1/561 : " فادعى أيضا أن كلام الله يحتمل أن يكون من أفاعيله، وأن أفاعيله زائلة عنه. وكل زائل عن الله مخلــوق في دعــواه [قيل له[16]: لا نســلم أن مطلق المفعولات مخلوقـة. وقد أجمعنا على أن الحركة والـنزول والمشي والاسـتواء على العـرش، وإلى السـماء قـديم، والرضى والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعـال في الـذات للـذات، وهي قديمة، فكل ما خـرج من قـول : "كن" فهو حـادث. وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم. والله أعلم[17].]

فلم يزل يعيب[18] عن هذا القول ويلجلج به في صدره حـتى صـرح به، وهو يرى أنه ليس معه بالبلاد من يفطن لمذهبه.

فيقال لهـذا المعـارض : من زعم أن القـرآن فعل الله الزائل منه فقد رجع عن قوله : كلام الله؛ لأن القــول غــير الفعل عند جميع النـــاس، والمفعــــولات كلها مخلوقة لا شك فيه. فقد صــــرح بالمخلوق مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة **بعـدما عـاب من قاله، ورجع عيبه عليه** من حيث لا يشعر.

أرأيتك أيها المعــارض إذا ادعيت في بعض كلامك أنه لا يجــوز أن تقول : مخلوق ولا غير مخلوق، ولا يزاد على أن يقــال : كلام الله ثم يســكت عما وراء ذلك لما أنه لم يخض فيه على عهد رســول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فمن خاض فيه كان بزعمك مقدمًا بين يدي الله ورسـوله. فكيف تـركت فيه قـول الله تعـالى ومنهاج السلف، ورجعت عن كلام الله فجعلته فعلا له مخلوقا؟.

---

15 ينظر ايضا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية 2/358.

16 القائل هم أصحاب المعترض.

17 هذه الزيادة ليست ضمن مخطوطة دار الكتب القطرية وإنما هي في مخطوطة المكتبة السعودية بالرياض، وطبعة حامد الفقي، وضمن طبعة عقائد السـلف، وحـول هـذا ينظر النقض بتحقيق الألمعي 1/561.

18 أي المعترض.

أو ما تخشى على نفسك ما تخــوفت على غــيرك؟ لقد ارتطمت فيما تخـوفت على غـيرك، وأنت لا تشـعر، وصـرحت بـالمخلوق بعــدما نســبت إلى البدعة من قالها، **وبــؤت بما عبت على غــيرك**[19] من التقــدم بين يــدي الله ورســوله وبــايعت جهمًا والمريسي في دعواهما. زعم هذان أنه مجعـول وزعمت أنت أنه مفعول، وكلا المعنيين سواء".

__الثالثة :__ إن الإمام الـدارمي رحمه الله تعـالى قد فسر الحـديث القدسي (من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا) بأن المـراد من ذلك الرحمة، ومجـازات الأعمـال الـتي كـان يعمل بها في الـدنيا، فقد قال الإمام الدارمي في النقض 1/499-500: "إذ زعمت أن نزوله تقريب رحمته إيـاهم **كقوله الآخر : "من تقـرب مـني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقــربت منه باعا" فقلت : هذا تقرب بالرحمة. ففي دعواك في تفســير الــنزول : من تقــرب إليه شــبرًا تباعد هو عنه مســيرة ما بين الأرض إلى الســماء، وكلما ازداد العبــاد إلى الله اقترابا تباعد، هو برحمته عنهم بعد ما بين السماء والأرض بزعمك**".

وقال ايضاً في المرجع السابق 2/746 : ". ثم فسرت قول عبد الله : "أنهم يكونــون في القــرب منه على قــدر تســارعهم إلى الجمعة" **أن ذلك تقـرب إليه بالعمل الصـالح**، كما قـال الله تعالى : (من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا).

ويلك أيها الحيران! إنما قال الله : (من تقـرب إلي شـبرا تقـربت منه ذراعا) في الدنيا بالأعمـال الصـالحة لا في الآخـرة يـوم ترفع الأعمال عن العباد".

__الرابعة :__ لقد نقل الإمــام الــدارمي - رحمه الله تعــالى - كلام علمـاء المعـترض ليـبين تنـاقض هـذا المعـترض لأنه كـان يعيب كلامهم، ثم قال به.

قــال الإمــام الــدارمي في المرجع الســابق - كما في مخطوطة المكتبة الســعودية بالريــاض، وطبعة حامد الفقي، وضــمن طبعة عقائد الســلف[20] - : "قيل له لا نســلم أن مطلق المفعــولات

---

[19] الذين قالوا: له لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة .....كما تقدم.
[20] ينظر النقض طبعة مكتبة الرشد، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي 1/561

مخلوقة. وقد أجمعنا على أن الحركة والنزول والمشي والاستواء على العــرش، وإلى الســماء قــديم، والرضى والفــرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمــة، فكل ما خــرج من قــول : "كن" فهو حــادث. **وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم.** والله أعلم.

فلم يزل يعيب هذا القول ... [إلى أن قال] : فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مــرة، ومــرة بعد مــرة **بعدما عــاب من قالــه، ورجع عيبه عليه من حيث لا يشعر"**.

الخامسة : الذي يقــرر ذلك وينســبه للإمــام الــدارمي فهو يقــرر لأهل السنة عقيدة الأشاعرة الكلابية فعند هــؤلاء صــفات الأفعــال لله عز وجل قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وإرادته وقد تقدم قول شيخ الإسلام في ذلك[21].

السادسة : إن الأشــاعرة الكلابية هم الــذين قــالوا أن الهرولة صــفة لله تعــالى ولكنها تــأول، كما قــرر ذلك النــووي وابن بطــال والعيني وغيرهم[22]، وأما أئمة أهل السنة المتقدمين[23]، فلم يعــدوا الهرولة صــفة لله تعــالى في الحــديث القدسي (من تقــرب مــني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)، فقد قال الإمام الترمذي -رحمه الله تعالى- في الجامع الكبــير 5/554 بعد هذا الحديث : "ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث : من تقــرب إليّ شــبراً تقــربت منه ذراعــاً، يعــني بــالمغفرة والرحمــة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا : إنما معناه يقــول : إذا تقــرب إليَّ العبد بطــاعتي وبما أمــرت تُســارِعُ إليه مغفــرتي ورحمتي[24]".

وقــال الإمــام ابن قتيبــة-رحمه الله تعــالى- في تأويل مختلف الحــديث ص327 بعد هــذا الحــديث : "**ونحن نقــول إن هــذا**

---

[21] ينظر صفحة 5 .
[22] ينظر شرح صحيح مسلم للنووي 17/3 وفتح الباري لابن حجر 13/513 وعمدة القارئ للعيني 25/101 والمحرر الوجيز لابن عطية 3/434
[23] وقد قال بعض علماء أهل السنة المتأخرين بأن الهرولة صفة لله عز وجل، وأنها تمر على ظاهرها، وقولهم هذا مردود لمخالفتهم ظاهر الحديث وكذا عقيدة السلف المتقــدمين أصــحاب القرون المفضــلة، وقد بينت ذلك في كتــابي تحقيق الحــديث القدســي" وإن أتــاني يمشي أتيته هرولة" ودراسته رواية ودراية.
[24] كلام الأعمش لم نقف له على إسناد، ولكن المعول على نقل الإمام الترمذي لكلام أهل العلم على هذا الحديث، ولم ينقل قولاً يخالف ذلك، إذ أن الإمام الترمذي معروف بنقله لأقوال أهل العلم في تفسير الأحاديث، وحسبك به إماماً.

تمثيل وتشبيه، وإنما أراد من أتاني مسرعاً بالطاعة، أتيته بالثواب أسرع من أتيانه، فكنى عن ذلك بالمشي وبالهرولة، كما يقال فلان موضع في الضلال – والإيضاع : سير سريع- لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يُراد أنه يسرع إلى الضلال، فكنى بالوضع عن الإسراع.

وكذا قوله : {**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ**} والسعي الإسراع في المشي، وليس يراد أنهم مشوا دائماً، وإنما يراد أنهم أسرع بنياتهم وأعمالهم، والله أعلم".

وقال أيضاً -رحمه الله تعالى- في المرجع السابق ص397-398 : "وكذلك قوله جل وعز {**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**} لا يريد أنه معهم بالحلول، ولكن بالنصرة والتوفيق والحياطة، وكذلك قوله تعالى : من تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى 10/212: "وهو سبحانه يحب من يحبه، ولا يمكن أن يكون العبد محباً والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له، **وإن كان جزاء الله لعبده أعظم** كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : (من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة).

وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : (لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث".

فقد أقر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ج5 ص407 كلام الإمام ابن قتيبة في كتاب (تأويل مختلف الحديث) : "ليس يراد في شيء من هذا انتقال الجسم وإنما يراد به القصد إلى الشيء بالإرادة والعزم والنية ، وكذلك قوله : {**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**} **لا يراد به أنه معهم بالحلول؛ ولكن بالنصر والتوفيق والحياطة.**

وكذلك قوله عز وجل : (من تقرب مني شبرا تقـربت منه ذراعا، ومن تقـرب مـني ذراعا تقـربت منه باعا، ومن أتـاني يمشي أتيته هرولة)"[25] .

السـابعة : وأما ما قاله علمـاء هـذا المعـترض[26] بقـولهم له (أجمعنـا)[27]، فليس فيه نقل للإجمـاع[28] إذ اتفقـوا هم والمعـترض على ذلـك، وهـذا ظـاهر من السـياق، وواضح لمن له ادنى علم باللغة العربية.

وقد فهم بعض أهل البدع من قول علماء المعترض بأن المسـألة مجمع عليها[29]، وهـذا نـاتج من جهلهم باللغة والعقيـدة، وكـذا في كلامهم هـذا تضـليل لأئمة أهل السـنة والجماعة لأنهم خـالفوا الإجماع بزعمهم، وكفى بذلك بهتاناً وأثم مبينا.

الثامنة : الذي ينقل عقيـدة أهل السـنة والجماعة لابد أن يكـون قد تلقاها على يد علمائها، وأما الذي لم يتلق هذا العلم عن أهله؛ فسـوف يخلط و يخبط في هـذه المسـائل، كحـال أولائك الـذين نقلوا قول المعتزلة و الكلابية فنسبوه للسلف.

قال الله تبارك وتعالى : {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[30].

وقوله {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ**

---

[25] وقد أثنى ابن تيمية على هذا الكتاب بقوله في الفتاوى ج 5 ص403 : "وهذا تأويل طائفة من أهل العربية منهم أبو محمد بن عبدالله بن قتيبة، ذكر في كتاب (مختلف الحديث) له الـذي رد فيه على أهل الكلام، الذين يطعنون في الحديث". ومن قال أن الشيخ الإسـلام رد على ابن قتيبة في الكلام الذي تقدم نقله، فيلزم بأن الشيخ الإسلام يقول بـالحلول لأن الإمـام ابن قتيبة قال : "لا يراد به أنه معهم بالحلول؛ ولكن النصر والتوفيق والحياطة".

[26] الذي رد عليه الإمام الدارمي – رحمه الله تعالى – في النقض.

[27] وفي نسخة : (أجمعنا واتفقنا).

[28] إذ قال الإمام الدارمي: قيل له: ولم يقل نقول له، أو قلنا له.

[29] قال الحافظ الذهبي في السير 10/547: " هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعرين من العلم، عبارات وشقاشيق لا يعبأ الله بها، يحرفون الكلم عن مواضـعه قـديما وحـديثا، فنعـوذ بالله من الكلام وأهله".

[30] سورة الإسراء، آية 36.

يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ [31]}[32].

التاسعة : الذي ينسب هذا القول للإمام الدارمي، إنما يتهم الإمام الدارمي بالتناقض، إذ أن قول : " **لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة**" يناقض قول الإمام الدارمي: " **المفعولات كلها مخلوقة لا شك فيه**[33]" مما يدل على أن القول الأول هو من قول أصحاب المعترض وليس للإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

العاشرة : إن قول أصحاب المعترض[34]: "فكل ما خرج من قول كن فهو حادث، وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم".

هذا الكلام فيه إضمار بأن القرآن مخلوق، لذالك رد عليهم الإمام الدارمي بقوله : "فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة بعدما عاب من قاله، ورجع عيبه عليه".

وذلك لأن المعترض أخذ يعيب عليهم خلق القرآن ثم قال بقولهم، فمن نسب للإمام الدارمي هذا القول فقد نسب إليه القول بخلق القرآن[35].

ومما يبين ذلك قول الإمام احمد - رحمه الله تعالى - في الرد على الزنادقة والجهمية ص 125-126 بعد قوله تعالى :{**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**}[36] "فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له (كن) فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا.

---

[31] قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى في تعليقه على الواسطية ص 34 : " إن القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في هذه الآية من الأدنى إلى الأعلى، والقول على الله يشمل القول عليه في أحكامه وشرعه ودينه كما يشمل القول في أسمائه وصفاته، وهو أعظم من القول عليه في شرعه ودينه، فسياق الآية الكريمة هنا للتنبيه على هذا، والله أعلم".

[32] سورة الأعراف، آية 33.

[33] قال سبحانه وتعالى:{ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

[34] الذي نسبه بعض أصحاب البدع إلى الإمام الدارمي رحمه الله تعالى.

[35] لقد نسب بعض أهل البدع من الرافضة ومن وافقهم هذا الكلام للإمام الدارمي، وغايتهم في ذلك التلبيس على أهل السنة والجماعة، وهذا لخبثهم وحقدهم على أهل السنة، فعليهم من الله ما يستحقون وهذا موجود في شبكة الأنترنت.

[36] سورة النساء، آية171.

وكـــذب النصـــارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قـــالوا عيسى روح الله وكلمتـــه، لأن الكلمة مخلوقـــة، وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله.

كـأن يقـال إن هـذه الخرقة من هـذا الثـوب وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة".

وقال الإمام عثمـان بن سـعيد الـدارمي - رحمه الله تعـالى - في النقض 2/670 : "وأعجب من ذلك قولك : إني سألت بشرا المريسي عن قول الله تعالى : {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُـونُ**}[37]، فقـال بشر: كونه كما شـاء بغـير (كن) أوما وجـدت أيها المعـارض فيمن رأيت من المشـايخ شـيخا أرشد من بشر وأعلم بتأويل هـذه الآية من بشر الـذي كفر بـرب قـال قـولا لشـيء قط : كن فكـان؟ وهـذا المشـهور من مذهبه المعروف في كل مصر: أن الله لم يتكلم بكلمة قط ولا يتكلم بها قط، فسـؤالك بشـرا عن هـذه الآية من بين المشـايخ دليل منك على الظنة والريبة القديمة، وأنك لم تســــــأله عن ذلك إلا عن ضمير متقدم، أفلا سـألت عنه من أدركت من المشـايخ، مثل أبي عبيد وأبي نعيم ونظــــرائهم من أهل الــــدين والفضل والمعرفة بالسنة؟! ثم ادعيت أن بشرا قال : معنـاه أن يكونه حـتى يكـون، من غير قول يقول له : (كن) ولكن يكونه على ما أراد.

ثم فسـرت قـول بشر هـذا، فـزعمت أنه عـنى بـذلك أن الأشـياء ليست مخلوقة من (كن) ولكن الله كونها على ما أراد من غــــير كيفية، وللكلام وجوه بزعمك.

فيقـال لهـذا المعـارض : قد افتريتما على الله جميعا فيما تأولتما من ذلك، وجـدتما قــول الله تعــالى {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَن نَّقُـولَ لَـهُ كُن فَيَكُـونُ**}[38] إذ ادعيتما أن الأشـياء لا تكــون بقوله : (كن) ولكن يكونه بإرادته من غــير قــول : (كن)، وهـذا هو الجحـود بما أنـزل الله؛ لأن الله تعـالى جمع فيه القـول والإرادة، فقال : (إِذَا أَرَدْنَاهُ) فسبقت الإرادة قبل (كن)، ثم قال : (كن) فكـان بقوله وإرادته جميعا : فكيفية هـذا كما قـال أصـدق

[37] سورة النحل، آية 40.
[38] سورة النحل، آية 40.

الصـادقين أنه إذا قـال (كن) فكـان، لا ما تأوله أكـذب الكـاذبين، وليست هذه المسألة مما يحتـاج النـاس فيها إلى تفسـير ولا هي من العـويص الـذي يجهلها العـوام، فكيف الخـاص من العلمـاء؟ وليس هذا مما يشـكل على رجل رزق شـيئا من العقل والمعرفة حتى يسأل عنه مثل المريسي الـذي لا يعـرف ربه، فكيف يعـرف قوله؟

وإنما امتنع المريسي وأصـحابه من أن يقـروا بهـذا أنهم قـالوا : مـتى أقررنا أن الله قـال لشـيء : (كن) كلاما منه لزمنا أن نقر بالقرآن والتوراة والإنجيل أنه نفس كلامه.

فامتنعوا من أجل ذلك؛ لأن الله - في دعـواهم - لم يتكلم بشـيء ولا يتكلم، والدليل على هذا المعارض بسـؤال بشر عن هـذه الآية قديما في شبابه وقد عرف مـذهب بشر أنه اضـطمر هـذا الـرأي في أول دهره وليس برأي استحدثه حديثا.

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله إن رحمتي كلام، وعـذابي كلام، وغضـبي كلام، إنما قـولي لشـيء إذا أردت أن أقول له : (كن) فيكون).

ادعى هذا المعارض أيضا في قول الله تعالى لعيسى ابن مـريم : (روح الله وكلمته) فقـال : يقـول أهل الجـرأة في معـنى كلمته : أي بكلمته، وإن سئلوا عن المخـرج منه لم يقـدروا عليه، وتـأولوا على الله برأيهم.

فيقال لهذا المعارض : أويحتاج في هـذا إلى تفسـير ومخـرج؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله، أنه إذا أراد شيئا قـال له : (كن فيكون) ومتى لا يقول له : (كن)، لا يكون، فإذا قال : (كن) كـان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته لا أنه نفس الكلمة التي خـرجت منه، ولكن بالكلمة كـان، فالكلمة من الله (كن) غـير مخلوقة، والكائن بها مخلوق.

وقـول الله في عيسى : (روح الله وكلمته) فـبين الـروح والكلمة فرق في المعنى، لأن الروح الذي نفخ فيها مخلوق امـتزج بخلقه، والكلمة من الله غـير مخلوقة لم تمـتزج بعيسى، ولكن كـان بها، وإن كـره، لأنها من الله أمر، فعلى هـذا التأويل قلنا، لا على ما ادعيت علينا من الكذب والأباطيل".

وقال الإمام البخاري في خلق أفعال العبـاد ص35 ـ "وقيل لأبي عبيد : إن المريسي سـئل عن ابتـداء خلق الأشـياء عن قـول الله عز وجل : {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُـولَ لَـهُ كُن فَيَكُونُ**}، فقال : كله كلام صلة، فمعـنى قوله : أن يقـول صـلة، كقوله قالت السماء فأمطرت، وكقوله : قال الجدار فمال، قال : قال الله تعالى : (جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ)، والجـدار لا إرادة له فمعـنى قوله : إذا أردنـاه كونـاه فكـان، لم يكن عند المريسي جواب أكثر من هذا؛ **يعني إن الله تعالى لا يتكلم**.

قـــال أبو عبيد القاسم بن ســلام : أما تشـــبيه قـــول الله : (إِذَا أَرَدْنَاهُ)، بقوله قالت السماء فأمطرت، وقال الجدار فمال، فإنه لا يشـبه، وهـذه أغلوطة أدخلهـا، لأنك إذا قلت : قـالت السـماء، ثم تسكت لم يدر ما معنى قالت حـتى تقـول فـأمطرت، وكـذلك إذا قلت : أراد الجدار ثم لم يبين ما معنى أراد لم يدر ما معنـاه، وإذا قلت : قال الله، اكتفيت بقوله : قال، فقال : مكتف لا يحتـاج إلى شيء يستدل به على قال، كما احتجت إذا قال الجدار فمال، وإلا لم يكن لقال الجدار معنى، ومن قال هذا فليس شـيء من الكفر إلا وهو دونه، ومن قال هذا فقد قـال على الله ما لم يقله اليهـود والنصارى ومذهبه التعطيل للخالق" .

وكذا قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى في الفتـاوى 9/282 ـ "ـ قال تعالى : {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}[39] فهو سبحانه يكون ما يشاء تكوينه، فـإذا كونه كـــان عقب تكوينه متصلا به لا يكـــون مع تكوينه في الزمـــان ولا يكـــون متراخيا عن تكوينه بينهما فصل في الزمـــان ؛ بل يكـــون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض.

وهذا مما يستدل به على أن كل ما سوى الله حادث كائن بعد أن لم يكن وإن قيل مع ذلك بـــدوام **فاعليته ومتكلميته،** وهـــذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قال القرآن محـدث ومن قـــال إن الـــرب لم يقم به كلام ولا إرادة، بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شيء من الصفات.

---

39 سورة يس، آية 82.

فلما ظهر فســاد هــذا القــول شــرعا وعقلا قــالت طائفة ممن وافقتهم على أصل مـــذهبهم : هو لا يتكلم بمشـــيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحيـاة ثم منهم من قـال : هو معنى واحد لامتناع اجتماع معان لا نهاية لها في آن واحد وامتنــاع تخصيصه بعــدد دون عــدد، وقــالوا : ذلك المعــنى هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخـبر عنه إن عـبر عنه بالعربية كـان قرآنا وإن عـبر عنه بالعبرية كـان تـوراة وإن عـبر عنه بالسـريانية كـان إنجيلا.

وقـالوا : إن الأمر والنهي صـفات للكلام لا أنـواع له، فـإن معـنى "آية الكرسي" و"آية الــدين" و {**قُــلْ هُــوَ اللَّهُ أَحَــدٌ**} و{**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**} معنى واحد".

وقال ايضاً في المرجع السابق 12/86 :ـ "ـ وصرح أحمد وغـيره من السـلف ان القـرآن كلام الله غـير مخلـوق ولم يقل أحد من السلف ان الله تكلم بغـير مشـيئته وقدرته ولا قـال أحد منهم أن نفس الكلام المعين كـــالقرآن أو ندائه لموسى أو غـــير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي لم يـزل ولا يـزال وان الله قـامت به حروف معينة أو حـروف وأصـوات معينة قديمة أزلية لم تـزل ولا تزال فان هـذا لم يقله ولا دل عليه قـول أحمد ولا غـيره من أئمة المسلمين بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صـريح في نقيض هـذا وأن الله يتكلم بمشـيئته وقدرته وانه لم يـزل يتكلم إذا شـاء مع قولهم إن كلام الله غير مخلوق وانه منه بدأ، ليس بمخلـوق ابتـدأ من غيره، ونصوصهم بذلك كثيرة معروفة في الكتب الثابتة عنهم **مثل ما صـنف أبو بكر الخلال في كتـاب السـنة وغـيره وما صــنفه عبد الــرحمن بن أبي حــاتم من كلام أحمد وغيره وما صنفه أصحابه وأصحاب أصحابه كابنيه صالح وعبد الله وحنبل وأبي داود السجستاني صاحب السنن والاثــرم والمــروذى وأبي زرعة وأبي حــاتم والبخــاري صاحب الصـحيح وعثمـان بن سـعيد الـدارمي وابـراهيم الحـربي وعبد الوهـاب الـوراق وعبـاس بن عبد العظيم العنبري وحـرب بن إسـماعيل الكرمـاني ومن لا يحصى عـدده من أكـابر أهل العلم والـدين وأصـحاب أصـحابه ممن جمع كلامه وأخبــاره كعبد الــرحمن بن أبي حــاتم وأبي بكر الخلال وأبي الحسن البنـــاني الاصـــبهاني وأمثال هؤلاء ومن كان أيضا يأتم به وبأمثاله من الأئمة في الأصــول والفــروع كــأبي عيسى الترمذي صــاحب**

الجامع وأبي عبد الرحمن النسائي وأمثالهما ومثل أبي محمد بن قتيبة وأمثاله وبسط هذا له موضع آخر.

وقد ذكرنا في المسائل الطبرستانية و الكيلانية بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل **والمقصود هنا أن كثيرا من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة فمنهم من يعظمهم ويقول انه متبع لهم مع انه مخالف لهم من حيث لا يشعر ومنهم من يظن أنهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية وذلك لجهله بعلمهم بل لجهله بما جاء به الرسول من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية فلهذا يوجد كثير من المتأخرين يشتركون في أصل فاسد ثم يفرع كل قوم عليه فروعا فاسدة يلتزمونها كما صرحوا في تكلم الله تعالى بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية وما فيهما من حروف الهجاء مؤلفا أو مفردا لما رأوا أن ذلك بلغ بصفات المخلوقين اشتبه بصفات المخلوقين فلم يهتدوا لموضع.**

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - في شرح السفارينية ص 179 : "فقول الأشاعرة حيث قالوا : إن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق، ولكن الذي نقر به المعنى القائم بنفسه، وليس الشيء المسموع الذي يكون بالحروف، فإن هذا الشيء المسموع الذي يكون بالحروف خلق من مخلوقات الله، خلقه الله تعبيراً عما في نفسه، وليس هو كلام الله، لكن إضافته إلى الله من باب المجاز، فتُجُوِّز عما كان عبارة عن الشيء فسمي به الشيء، فسمي كلام الله لأنه عبارة عنه، وليس هو كلام الله، بل الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وهو أزلي أبدي لا يتعلق بمشيئته، بل هو وصف لازم له كلزوم الحياة والعلم والقدرة.

وعلى زعمهم هذا فهو لا يتكلم إذا شاء، كما أنه لا يعلم متى شاء، بل علمه لازم لذاته، فهم يقولون الكلام لازم لذاته ولا يتعلق بمشيئته، وعلى ذلك فالجهمية والمعتزلة خير منهم من هذا الوجه؛ لأنهم يقولون : إن كلام الله يتعلق بمشيئته لكنه مخلوق، وهم يقولون لا يتعلق بمشيئته ولا بإرادته.

ثم يقولــون : إن ما يســمعه محمد وموسى وغيرهما من كلام اللـه، إنما هو شـيء مخلـوق، فهم قد شـاركوا الجهمية والمعتزلة في أن ما يســمع مخلــوق، لكن الجهمية قــالوا : هو كلام اللــه، وهؤلاء قالوا : هو عبـارة عن كلام اللـه، فوافقـوا الجهمية في أن المسموع مخلوق، وخالفوهم في أنهم قـالوا : إنه عبـارة، وهـؤلاء قالوا : إنه حقيقة".

ولذا فإن من عقيـدة أهل السـنة الإقـرار بـأن لله تعـالى الكمـال المطلق و أن كلامه تعـالى متعلق بمشـيئته وقدرته فهو يتكلم إذا شاء متى شاء ويسـكت إذا شـاء، وأن الله إذا أراد لأمر أن يقـول له كن فيكون فكن كلامه وصـفته متعلقة بإرادته ومشـيئته فمـتى أراد تكوين شيء قال له كن فيكـون، والممفعـولات كلها مخلوقة لا شك فيه ففعل الله صفة لله والمفعول غيره من الخلــق، ليس كما يدعيه بعض أهل البدع كما تقدم.

<u>الحادية عشر :</u> إن القول الذي نسب للإمـام الـدارمي - رحمه الله تعــالى - : "وقد أجمعنا على أن الحركة والــنزول والمشي والاســتواء على العــرش، وإلى الســماء قــديم" : ليس في هــذا الكلام دلالة على إثبــــات أن الهرولة صــــفة لله عز وجل[40] ولا الصـفات الأخـرى الـتي ذكـرت، بل في هـذا الكلام تقرير لعقيـدة أهل البدع والأهواء من الكلابية و الأشاعرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى 5/412 ولهــذا يقــول كثــير منهم[41]: "إن هــذه آيــات الإضــافات وأحــاديث الإضــافات، وينكــرون على من يقــول آيــات الصــفات وأحــاديث الصــفات، وإما أن يجعلــوا جميع هــذه المعــاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله ومجيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه؛ ونحو ذلك : قديم أزلي كما يقولون : إن القرآن قديم أزلي".

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعـالى في شــرح الطحاوية ص 179 "**فقالوا*: لا يوصف الله بشـيء يتعلق بمشـيئته وقدرته أصل، و جميع هذه الأمـور صـفات لازمة لذاتـه، قديمة أزلية**، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت".

---

[40] علماً بأن الهرولة في الحديث القدسي (من تقرب .....) ليست من أحاديث الصفات كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

[41] أي الأشاعرة الكلابية.

* أي الأشاعرة الكلابية.

<u>الثانية عشر :</u> وإما قـولهم "والرضى والفـرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعـال في الـذات للـذات" أي أنه يمتنع أن تحل الحوادث بذاته، وهذا القـول محـدث أنكـره أهل السـنة على أهل الكلام.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الفتاوى 6/147 : "ويقولون أي الكلابية يمتنع أن تحل الحوادث بذاته كما يسميها قوم آخرون : فعل الذات بالذات أو في الـذات؛ ورأوا أن تجويز ذلك يستلزم حدوثـه؛ لأن الـدليل الـذي دلهم على حـدوث الأجسـام قيـام الحـوادث بهـا؛ فلو قـامت به لـزم أحد الأمرين؛ إما حدوثه أو بطلان العلم بحدوث العالم".

وقـال أيضـاً في درء تعـارض العقل والنقل 1/239 :ـ "بل قـول القائل : إن الله جسم أو ليس بجسم، أو جـوهر أو ليس بجـوهر، أو متحيز أو ليس بمتحيز، أو في جهة أو ليس في جهة، **أو تقوم به الأعراض والحـوادث أو لا تقـوم بـه، ونحو ذلـك؛ كل هذه الأقوال محدثة بين أهل الكلام المحـدث، لم يتكلم السـلف و الأئمة فيهـا، لا بـإطلاق النفي ولا بـأطلاق الإثبـات، بل كـانوا ينكـرون على أهل الكلام الـذين يتكلمـون بمثل هـذا النـوع في حق الله تعـالى نفيا وإثباتا"ـ.**

<u>الثالثة عشر :</u> من عقيدة أهل السنة والجماعة بـأن الله يتصف بالصـفات الاختيارية كـالكلام والنـداء والرضا والغضب والحب والبغض والرحمة والرأفة والانتقـام والإتيـان والـنزول والاسـتواء على العـرش والخلق والـرزق وغـير ذلك من صـفاته العلية الـتي تقـوم بمشـيئته واختيـاره؛ ومعـنى تعلقها بمشـيئته واختيـاره أنه تعالى لا يـزال متكلما إذا شـاء ولا يـزال رحيما إذا شـاء ولا يـزال خالقا إذا شـاء، وهكـذا، فالصـفة ثابتة له سـبحانه وتعـالى، وهي متعلقة بمشيئته، فإن شاء تكلم وإن شاء سـكت وإن شـاء خلـق، وإن شاء لم يخلق، وإن شاء غضب، وإن شاء رضي.

ومن الأدلة الموضحة لذلك :

قوله تعالى : {**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**}[42].

وقوله تعالى : {**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**}[43].

وقوله تعالى : {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**}[44].

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له[45]".**

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد[46]".**

وغيرها من الأدلة الثابتة في الكتاب والسنة.

أحمد الله وأشكره على أن يسر لي أتمام هذا البحث، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجه الكريم، وأن يدخر لي أجره يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

حرره خالد بن عبدالله العلوي في يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة سنة سبعة وعشرون

[42] سورة الأعراف، آية 11.
[43] سورة الزخرف، آية 55.
[44] سورة محمد، آية 28.
[45] أخرجه البخاري في صحيحه 1/384 ومسلم في صحيحه 1/521 وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
[46] أخرجه البخاري في صحيحه 3/1040 ومسلم في صحيحه 3/1504 وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية
مملكة البحـــــريـــن
حرسها الله تعالى